١٨

والشر ليس اليك اي فانك لا تخلق شرا محضا بل كل ما تخلقه ففيه حكمه باعتبارها خير ولكن
قد يكون شرا لبعض الناس فهذا شر جزئي اضافي فاما شر كلي او شر مطلق فالرب تعالى منزه
عن ذلك ومن ههنا قال ابو مدين المغربي
لا تنكر الباطل في طوره • فانه بعض ظهوراته •
ولهذا لا يضاف الشر اليه مفردا قط بل اما ان يدخل في عموم المخلوقات لقوله الله
خالق كل شئ قل كل من عند الله واما ان يضاف الى السبب كقوله من شر ما خلق واما ان
يحذف فاعله كقوله وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا فان
قيل كيف وجه الجمع بين قوله قل كل من عند الله وبين قوله فمن نفسك اجيب بان الخصب
والجدب والنصرة والهزيمة كلها من عند الله وما اصابك من سيئة اي محنة وبلية فبذنب
نفسك عقوبة لك وكفارة كما قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفو عن كثير وهذا على المعنى الاول الذي هو المعول واما على المعنى الثاني فالطاعة
ينسب الى الله لانها محض خير والسيئة لا ينسب اليه تادبا لكونها في صورة شر والكل
من عند الله خلقا لخلق الطاعة فضل وخلق المعصية عدل لا يسئل عما يفعل ثم في قوله
فمن نفسك من الفوايد ان العبد لا يطمئن الى نفسه ولا يسكن اليها فان الشر كامن فيها
لا يجئ الا منها ولا يشتغل بملام الناس ولا ذمهم اذا اساءوا اليه فان ذلك من السيئات
التي اصابته وهي انما اصابته بذنوبه فيرجع الى الله ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات
عمله ويسأل الله ان يعينه على طاعته فبذلك يحصل له كل خير ويندفع عنه كل شر ولهذا
كان انفع الدعاء طلب الهداية فانها الاعانة على الطاعة وترك المعصية هذا وقد قيل كل عام
يخص كما خص قوله والله على كل شئ قدير بما شاء ويخرج ذاته وصفاته وما لم يشاء من مخلوقاته
وما يكون من المحال وقوعه في كاينات والحاصل ان كل شئ تعلقت به مشيته
تعلقت به قدرته والا فلا فلا يقال هو قادر على المحال لعدم وقوعه ولزومه كذبه ولا
يقال غير قادر عليه تعظيما لادبه مع ربه ثم هذا العام مخصوص بقوله والله بكل شئ
عليم فانه باق على العموم شامل للموجود والمعدوم والمحال والموهوم كما بينه
الامام بقوله يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوما اي بوصف المعدومية
ويعلم انه كيف يكون اذا اوجده اي في عالم الربوبية بل ويعلم ان شيئا لا يكون ولو
كان كيف يكون ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجودا اي بعد ان علمه في
حال عدمه معدوما ويعلم انه كيف يكون فناؤه اي اذا اراد ان يجعله معدوما
بعد ان علم في حال وجوده موجودا من غير تغير علمه في مراتب كونه معلوما ويعلم الله
تعالى القايم في حال قيامه اي ممثلا او لا فكذا في حال حياته وصلاته وصيامه وساير
مقاماته فاذا قعد اي تغير عن حاله الاول علمه قاعدا في حال قعوده اي انتقاله
من حالة الى حالة علما تنجيزيا ظاهريا بعدما كان يعلم انه سيقعد الان ذلك لعلمه
كان ذهنيا وباطنيا كما حقق في تفسير قوله الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
من غير ان يتغير علمه وزيد في نسخة او صفته والظاهر ان الثاني وجد في نسخة
بدل علمه فالحقه به وما ابدله فحصل بسبب الجمع بعض خلله او يحدث له علم اي في ثاني
حاله ما لم يكن فان ذلك ولكن التغير اي الانتقال واختلاف الاحوال اي من القيام

والقعود

مطلب من الفوايد

مطلب فلا يقال هو قادر على المحال

١٩

والقعود وامثالهما من الافعال يحدث في المخلوقين مع تنزه الملك المتعال عن قبول الانفعال
وحصول التغير والانتقال فان علمه قديم بالاشياء فاذا اوجد شيئا او افناه فانما يوجده او
يفنيه على وفق ما علمه وطبق ما قدره وقضاه فاذا لا يتغير علمه ولا يختلف حكمه ولا يحدث له
علم بتغير الموجود والمعدوم واختلافه وحدوثه خلق اي الله سبحانه كما في نسخة الخلق اي
المخلوقين سليما من الكفر والايمان اي سالما من اثار الكفران وانوار الايمان بان جعلهم
قابلين لان يقع منهم العصيان او الاحسان كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم
مؤمن اي في عالم الظهور والبيان ثم خاطبهم اي وقت التكليف بالعبادة على لسان ارباب
الرسالة واصحاب السعادة وامرهم بالايمان والطاعة ونهاهم عن الكفر والمعصية
فكفر من كفر بفعله اي باختياره وانكاره اي مع جهله واصراره وجحوده اي مع عناده
واستكباره بخذلان الله تعالى اي بترك نصرته سبحانه اياه وعدم توفيقه لما يرضاه
وهو مقتضى عدله كما قال الله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم
يظلمون وآمن من آمن بفعله اي بانقياده واذعانه واقراره اي بلسانه بتصديقه
اي بجنانه على وفق امر الله ومراده بتوفيق الله تعالى اياه ونصرته له اي فيما قدره
وقضاه بمقتضى فضله كما قال تعالى ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس
لا يشكرون وهذا لا ينافي كونهما كافرا ومؤمنا في علم الله لحديث خلقت هولاء
للجنة ولا ابالي وخلقت هولاء للنار ولا ابالي وحديث فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة
وفريق في السعير فان الحديث الجامع المانع قوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له اخرج
ذرية آدم اي طبقة بعد طبقة الى يوم القيامة من صلبه اي اولا ثم من اصلاب ابنائه
وترائب بناته على صور الذر بعضها بيض وبعضها سود وانتشروا الى يمين آدم ويساره
فخاطبهم اي حينما شهدهم على انفسهم بقوله الست بربكم وامرهم بالايمان والاحسان
ونهاهم اي عن الكفر والكفران فاقروا له بالربوبية اي ولانفسهم بالعبودية حيث
قالوا بلى فكان ذلك منهم اي قولهم بلى الذي صدر عنهم ايمانا اي حقيقيا او حكميا فهم
يولدون على تلك الفطرة يعني كما قال سبحانه وتعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها
وكما قال عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او
ينصرانه او يمجسانه حتى يعرب عنه لسانه اما شاكرا واما كفورا وهذا معنى
قوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا والحاصل ان عهد الميثاق ثابت
بالكتاب وهو قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وبالسنة
وهو الحديث الثابت المروي في المصابيح وغيره وتحقيقهما في كتب التفسير وشروح
الحديث المنير على ما بيناه في محلهما خلافا للمعتزلة حيث حملوا الاية والحديث على المعنى
المجازي كما دفعناه في موضعهما هذا وقال شارح ظهر من هذه المسئلة وما يتعلق بها
من الادلة ان القول بان اطفال المشركين في النار متروك فكيف لا وقد جعل الشرع البالغ
الجاهل البالغ بالله ممن لم تبلغه الدعوة معذورا يعني لقوله تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا واما الاحاديث فمتعارضة في هذا الباب وقد جمعنا بينها في شرح
المشكوة على ما ظهر لنا من طريق الصواب وقد قال فخر الاسلام وكذا نقول في الذي
لم تبلغه الدعوة انه غير مكلف بمجرد العقل وانه اذا لم يصف ايمانا ولا كفرا ولم يعتقد

مطلب خلق المخلوقين سليما من الكفر والايمان

والسنة صح

مطلب لم تبلغه الدعوة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)